

# مسابقة شعريّة في الأندلس القرن ٦ الهجري ١٢ الميلادي

فاضل السباعي

المعارضة باب من أبواب الشعر التقليدي عند العرب ، يتصدى فيه شاعر لقصيدة شاعر آخر ، فينظم أبياتاً على وزنهما وقافيتها ، إعجاباً بها أو نقضاً لها .

وقد تنطلق المعارضة من الود والاعجاب يكتنهما المعارض لشاعر معاصر له ، وعندئذ تتحول المعارضة الى نوع من الدعابة مما يدخل في فنّ الاخوانيات ، وفيه يقتصر عمل الشاعر المعارض على إبداء البراعة في النظم ومحاولة اللحاق بزميله والوصول الى مداه !

وأما تذييل الشعر ، أو اجازته ، فهو أن يأخذ الشاعر قولاً لسواه ، بيتاً واحداً أو عدة أبيات أو شطراً ، فيزيّله بشيء من عنده ، على وزنه وقافيته وموضوعه .

وقد وقفت في كتاب « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي ، على مقطعات شعرية في « معارضة » أسهم فيها ثمانية من شعراء مدينة مالقة الأندلسية ، بأن ذيل كل منهم بيتين لشاعر معاصر ، مألقي أيضاً ، هو « أبو محمد بن الأصم » ، « محاولين اللحاق به والوصول الى مداه » . وكان محرّضهم في ذلك أحدهم : « أبا الحجاج بن الشيخ » ، الذي بدا أنه كان متفنناً حتى في عرض المقطعات الشعرية على من يبدي له رأيه فيها ، فهو بذلك يصطنع « مسابقة شعرية » تحقق له من شروطها أيضاً : « السريّة » ، فقد بعث بالاشعار - مغفلة من أسماء ناظميها - بعد أن شفعها برسالة منه في التماس « التحكيم » ، الى « محكم » كان هو صديقه الشاعر ابن الأصم نفسه ، هذا الذي ردّ ، في رسالة مطوّلة أودع فيها رأيه ، بعفوية لم تخل من دعابة على نحو ما أسعفته قريحته في ساعته ، وهو لا يدري أن بين هذه المقطعات واحدة لصديقه أبي الحجاج !

## ١ - ابن عبد الملك وموسوعته في تراجم رجال الأندلس :

ليس من المغالاة الزعم بأن كتاب « الذيل والتكملة لكتابي الموصّل والصلة » ، هو أشمل موسوعات التاريخ الأندلسي الخاص ، ونعني تلك التي ترجمت للرجال ، ورسمت ، من خلال ذلك ، صورة للحياة الأدبية والفكرية في الأندلس . ويزيد من أهمية هذا الكتاب أن صاحبه أبا عبدالله ، محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي ، قد أتيح له - وهو من أهل القرن السابع الهجري - أن يعتمد على دل ما قدمته كتب الطبقات الأندلسية التي سبقت ، ولم تكن قليلة في عصره ذاك الذي كان قد أخذ يستشرف عصور الأندلس الزاهرة قبل الانعطاف نحو النهاية (١) !

وهكذا استوعب كتابه ، أو موسوعته ذات الأجزاء أو الأسفار الثمانية ، كل ما جاء به المؤرخون قبله ، مثل ابن الفَرَضِي (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ) في كتابه « تاريخ علماء الأندلس » ، والجَمِيدِي (ت ٤٨٨ هـ) في كتابه « جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس » ، وابن بشكّوَال (ت ٥٧٨ هـ) في « كتاب الصلة » (٢) ، وغير ذلك من الكتب ، وتجاوزها كلها إلى المشاهدة ، والرواية الشفوية ، والسماع المباشر ، ويندرج في هذا النوع « الفضلكات » التاريخية الاستطراذية ، وكذلك تراجم من أدرك حياتهم أو قارب عصرهم ... وذلك ما أضفى على موسوعته أهمية خاصة مما جعل أحد الباحثين العرب المعاصرين ، وهو الدكتور محمد بن شريفة ، يقول في دراسته المستفيضة التي قدم بها السّفر الثامن:

« ومع أن ابن عبد الملك لم يؤلّف في التاريخ العام ، ولم يخلّف منه إلا الفضلكات ، فقد نقل عنه أصحاب المدونات التاريخية وفي طليعتهم بَلَدِيَّة ابن عذارِي » في القسم المتعلق بتاريخ الموحدين من كتاب « البيان المُعَرَّب في أخبار الأندلس والمغرب » (٣) .

ومن المؤسف أن أجزاء من هذا الكتاب القيّم لا تزال مفقودة . وما عثر عليه منها حتى اليوم وتم تحقيقه ونشره ، هو الأسفار : الأول ، وقطعة من الرابع ، والخامس ، والسادس ، وقطعة من الثامن ؛ نهض بتحقيق الأول والأخير الدكتور بن شريفة ، وحقّق الرابع والخامس الدكتور احسان عباس (٤) .

ولدى مطالعتي للسفر الخامس وقفت ، في ترجمة الفقيه الأديب ابن الأَصَم (من أهل مالقة ، في القرن السادس الهجري) ، على تفاصيل تلك المعارضة الشعرية الطريفة ، مدار دراستنا هذه .

## ٢ - مالقة ، التي سقطت بشرف :

تقع مالقة جنوبي الأندلس ، مطلة على البحر الشامي (الأبيض المتوسط) ، على الجانب الشرقي منه المسمى « بحر الزقاق » مما يلي مضيق جبل طارق . وترجع المدينة إلى أصول رومانية وفينيقية . وقد كانت أيام الدولة الإسلامية من أهم الثغور الأندلسية ، واستطاعت أن تحتفظ بطابعها الإسلامي الخالص حتى نهاية مملكة غرناطة ، وما سقطت في يد نصارى إسبانيا إلا مع سقوط آخر المعاقل الأندلسية ، بعد دفاع مجيد سجلته صحف ذلك العصر .

وقد أوجز ياقوت الحموي القول في مالمقة في معجمه . إلا أن ابن عبد المنعم الحميري ، المغربي (ت ٧٢٧ هـ) ، أطال الوقوف عندها في كتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار» ، فقال أنها «حسنة ، عامرة ، أهلة ، كثيرة الديار» ، ووصف قصبتها ، التي تقع شرقي المدينة ، بأنها في غاية الحصانة والمنعة ، مردد ذلك إلى أن عليها سور صخر والبحر في قبليها .

وللمدينة - يقول الحميري - خمسة أبواب ، ورَبَضَان كبيران (٥) ، وفيها مبان فخمة ، وحمامات حسنة ، وأسواق جامعة كثيرة في الرِيبض والمدينة . وجامعها ، بالمدينة ، من خمس بلاطات . وشرب أهلها من الآبار . ولها وادٍ يجري في زمان الشتاء ، وليس بدائم الجري . ومرساها صيفي ، يكن بالغربي (٦) .

وعن تينها يقول : « وفيما استدار بها من جميع جهاتها ، شجر التين المنسوب إليها ، وهو يُحمل إلى مصر والشام والعراق ، وربما وصل إلى الهند . وهو من أحسن التين طيباً وعذوبة » (٧) .

ويطيب لنا أن نستكمل التعريف بمالمقة بالصورة الشعرية التي رسمها لنا ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ) . . . . . يقول :

« تعرف الآن بمالمقة وفي القديم بريّة ، وهي بحريّة بريّة ، ولها الوادي الربيعي الذي يأتي زائراً مُغْباً ، فيزداد أهلها فيه غبطة وحبا ، وعلى مذانبه المتفرّعة كسباتك اللّجين ، ما ترتاح بمراء النفس والعين ، وفيه أقول :

بوادي ريّة عرّج ، فاني	رأيت الحُسن عنه لا يميل
وهاي الغمر صِرْفاً دون مزج	بحيث الماء والظلّ الظليل
غدا متقسماً في كل وجه	كما سلّت على خزء نصول
تجول لوا حظي ما دمت فيه	بحيث ترى مذانبه تزول

ويقول عن تينها ولوزها :

« ولمالمقة ، مما فضّلت به ، ما حفّها من شجر اللوز وشجر التين ، اذ هو بها طوفان لا تزال تحمل منه الركاب والسّفّين ، وهو مفضل على سائر تين الأندلس ، إلا «شعري» اشبيلية ، فإن بعضهم يفضلّه ، ولا سيما في دخوله الأدوية ومنفعته (٨) . ويكفيها عن الاطناب ما يتضمن شرح اسمها ، اذ معنى «ريّة» عند النصارى : سلطنة ، فهي سلطنة البلاد . . . . . » (٩) .

ويقول : « دخلت مدينة مالمقة وأقمت فيها اقامة أرضت الشباب ، وأمتعت مجالس الآداب . وكان والدي (١٠) يفضلّها ويحبب بها ، ولا سيما في أيام فرحهم وخروجهم إلى كروم العنب والتين . ولقد خرجنا إلى كرم أقمنا فيه مدة منفعته ، فعددنا ذلك من أيام

التنعيم . (وفي مألقة) من ضروب الوشي العجائب ، ويصنع بها الفخّار المذهب والزجاج» (١١) .

وقد استطلّقت مألقة عهد الأمويين بقرطبة الى حين سقوط دولتهم ، فانتزى على مألقة بعض الطامحين في عصر ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري/ ١١ الميلادي) ، الى أن دخلت مع حواضر الأندلس كلها في حمى دولة المرابطين ، فالموحدين ، ثم كانت ثغراً للمملكة الغرناطية في عهد بني نصر .

ولم يكن سهلاً سقوطها في يد المقتاتيين، الذين زحفوا عليها في جمادى الثانية ٨٩٢ (حزيران ١٤٨٧) ، وطوقوها من البر والبحر بقوات كثيفة . فقد امتنع المسلمون داخل مدينتهم ، التي كانت تموج بالمدافعين وعلى رأسهم نخبة ممتازة من أكابر الفرسان ، ومعهم بعض الأنفاط والعُدد الثقيلة ، وقائدهم حامد الثغري . وأيدوا ، في الدفاع عن ثغرهم ، أروع ضروب البسالة والجكّد ، وحاولوا غير مرة كسر أطواق الحصار المضروب عليهم ، وفتكوا بالنصارى في بضع مواقع محلية . . . الى أن استنفدوا كل ما وصلت اليه أيديهم من الاقوات ، واكلوا الجلود وأوراق الشجر ، ومات كثير من أنجاد فرسانهم ، فاضطروا ، بعد دفاع استطال ثلاثة أشهر ، الى التسليم على أن يؤمنوا في أنفسهم وأموالهم . ولكن الملك الكاثوليكي فرناندو الخامس ، لم يحافظ على ما بذله لأهلها من عهد التأمين النفس والمال ، وأصدر مرسوماً ملكياً باعتبار أهلها المسلمين رقيقاً يتعين عليهم اقتداء أنفسهم وامتاعهم (١٢) .

ومألقة اليوم Málaga هي عاصمة الولاية الاسبانية المسماة بهذا الاسم . وهي أهم ثغور اسبانيا الجنوبية . ويبلغ سكانها ثلاثمئة ألف نسمة . ومما تصدره من محاصيلها الزراعية : التين ، واللوز ، والعنب . . . ولم تزل تشتهر بمنتجاتها الجميلة من الفخّار والخزف الملوّن ، الصناعة التي ازدهرت في العصر الاسلامي (١٣) .

### ٣ - من أعلام مألقة :

من مألقة رجال ذكرهم تاريخها ، سواء آكانوا من أبنائها المقيمين فيها أو المرتحلين عنها أو من الطارئین عليها ، ممن أحسنوا أو ظلموا أو ظلّموا ! ونحب ، هنا ، أن نعرف ببعضهم نماذج نستكمل بها رسم صورة الحياة السياسية والفكرية والأدبية ، في هذه المدينة الأندلسية الشهيرة .

● ولعل أول هؤلاء ، من القادمين عليها ، المحدث معاوية بن صالح . ذكر الحميري أن في قصبة مألقة مسجداً بناه هذا الفقيه ، «وكان ممن حضر وقعة مروان بن محمد ليلة بوسير ، فأجابه الفرار ، ولجأ الى الأندلس فرّقاً من المسوّدة ، ومات بها ، وله روايات وتقدّم في السنّة والعلم» (١٤) .

● ومنهم أبو عبد الله ، محمد بن معمر ، المعروف بـ «ابن أخت غانم» ، من أعيان مألقة ، عالم بالنبات واللغة . أقام مدة في المريّة ، المجاورة ، وحظي عند ملكها المعتصم

ابن صُمَادِح (حكمه : ٤٤٣-٤٨٤) • وكان من المعمّرين : ذكر أحدهم أنه حدثه في داره بمالقة وهو ابن مئة سنة وأخذ عنه عام ٥٢٤ • ونسب إلى خاله « غانم بن الوليد المخزومي » ، الامام العالم ، لشهرة ذكره وعلو قدره (١٥) •

● ومن أبنائها الخطائين : أبو الحكم بن حسون ، الحسين بن الحسين ، من جبابرة الأمراء في الأندلس • تولى قضاءها ، فدعا إلى نفسه عندما نشأت الفتنة في آخر أيام المرابطين وصعدوا من دولة الموحدين ، وجمع الإمارة إلى القضاء (٥٣٩-٥٤٧) • وقتل من أهل مالقة من قتل وغرب من غرب ، ثم زلّت قدمه فكتب نصارى اسبانيا مستعيناً بهم • ثم قتل نفسه عند قيام أهل البلد عليه ، ولم يُعفَ ذلك من أن تصلب جثته ، ويحمل رأسه إلى مراكش (١٦) •

● ومن أبنائها العلماء أبو محمد بن القرطبي ، عبدالله بن الحسن الأنصاري ، مالقي ، قرطبي الأصل وأبوه انتقل منها إلى مالقة • كان أبو محمد ، ببلدة مالقة ، كامل المعارف رئيس المحدثين وإمامهم ، متوقّد الذهن ، كريم الخلال ، حميد العشرة ، دمثاً ، متواضعاً ، حسن الخلق ، محبباً إلى الناس • • • وكان له ، بجامع مالقة الأعظم ، مجلس عام سوى مجلس تدريسه ، يتكلم فيه على الحديث ، اسناداً ومثناً ، بطريقة أعجز عنها كثيراً من أكابر أهل زمانه • • • توفي سنة ٦١١ وهو في الخامسة والخمسين (١٧) •

● ومنهم القاضي أبو محمد ، عبدالله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري ، من أعلام الفقهاء • ولي القضاء في اشبيلية وقرطبة ومالقة وغيرها من مدن الأندلس والمغرب • توفي سنة ٦١٢ • ويقول انه لما ولي قضاء مالقة وقدم عليها ، خرج طلبتها إلى لقائه فانشدهم :

مالقة ! حيّيت ، يا تينها      الفلك ، من أجل ، ياتينها  
نهى طيبي عنك في علّتي      ما لطبيبي ، عن حياتي ، نها (١٨)

● ومنهم أبو علي بن يبقى • « ولي أعمال مالقة حين كان واليها أبو العلاء ، مأمون بني عبد المؤمن • وكانت له جارية قد أدّبها وعلمها الغناء ، فطلبها منه أبو العلاء فلم يسمعه بها ، فأمسك له ذلك مع أشياء كانت عليه في نفسه ، فلما خطب لنفسه بالخلافة في اشبيلية أحضره وضرب عنقه » (١٩) •

● ومنهم أبو محمد الرندي ، عيسى بن سليمان الرندي • روى عن أبي محمد بن القرطبي ، ورحل وحج ، وإقام في رحلته نحو ستة عشر عاماً ، ولقب هنالك برشيد الدين ، وقفل إلى الأندلس بروايات واسعة ، وفوائد جمّة ، وغرائب نافعة • وفي طريق عودته امتحن بالأسر ، فذهب عنه كثير مما جلب • ووصل مالقة في أوائل ٦٣١ ، وقدم للإمامة بجامعها ، فمرض قبل الصلاة فيه بالناس ، وتوالى مرضه إلى أن توفي في ربيع الأول ٦٣٢ وهو في الحادية والخمسين (٢٠) •

● ومن أبناء مالقة العظام عالم دخل التاريخ العلمي من أوسع أبوابه • ضياء الدين أبو محمد ، عبدالله بن أحمد المالقي ، الشهير بـ « ابن البيطار » • أوجد زمانه ، وعلاّمة

وقته في معرفة النبات ، وتحقيقه ، واختياره ، ومواقع نباته ، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها . سافر الى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم . واستقر في مصر والشام زمن الأيوبيين ، وخدم الملك الصالح ، وله ألف موسوعته الشهيرة « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » . توفي بدمشق سنة ٦٤٦ (٢١) .

● ومن مصادفات الأيام أن ابن صاحب « الذيل والتكملة » ، ابن عبد الملك ، قد جرى (بفراکش) تحامل في متروكه ، بعد وفاة أبيه ، « لتبعة تسلطت على نشبه ، أدته الى الجلاء عن وطنه ، فاستقر بمالقة ، وأقام بهازمانا ، لا يهتدي لمكان فضله الا من عثر عليه جزافا . ولم ينتقل عن حالته ، من الخُسنة والانتقاص والعكوف على النظر في العلوم » (٢٢) . ويقول لسان الدين بن الخطيب انه « فقد في وقعة على المسلمين من جيش مالقة في ذي قعدة من عام ثلاثة وأربعين وسبع مائة » (٢٣) .

● ولعل آخر عظماء المسلمين ، من الطارئين على مالقة ، كان حامد الثغري ، المار ذكره ، زعيم قبيلة غمارة ، الذي كان على رأس الفرسان الأنجاد الذين دافعوا عنها ببسالة في حصارها من قبل القشتاليين ، ذلك الحصار الذي أدى الى سقوطها سنة ٨٩٢ هـ (٢٤) .

ومنهم أخيراً ، وعلى وجه الخصوص :

● أبو محمد بن الأصم ،

● وأبو الحجاج بن الشيخ !

٤ - أبو محمد بن الأصم :

هو عبد الوهاب بن محمد بن علي ، المالقي المنشئي (٢٥) . يقول ، في التعريف به ، ابن عبد الملك المراكشي انه « كان فقيهاً ، عاقداً للشروط بصيراً بعلمها ، نافذاً في العربية ، ريثان من الأدب ، مجيداً في النظم والنثر ، نافداً ، ورعاً زاهداً فاضلاً ، منبسط النفس طريف الدعاية ، متين الديانة (٥٠٠) ولي الصلاة والخطبة بجامع مالقة (٥٠٠) وكان ، قبل ، قد أثر سكتى باديته معظم عمره ، راضياً بخموله ، عاكفاً على ما يعنيه من شأن معاشه ومعاده » ، الى أن توفي خطيب جامع مالقة ، أبو عبد الله الاستجئي ، فتولى للصلاة والخطبة فيه بعده ، منتقلاً الى سكتى مالقة ، وفيها مات في شوال ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) عن سبعة وسبعين عاماً .

ومن شعره ، في الموت :

الموت حصادة بلا منجل يستطو على القاطن والمنجلي

لا يقبل العذر على حالة ما كان من مشكل او من جلي (٢٦)

وكانت بينه وبين أدباء عصره ، مثل أبي محمد بن حوط الله وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي القاسم السهيلي وغيرهم ، « مخاطبات ظهر فيها تبريزه وحسن تصرفه (٥٠٠) ، وله خطب بارعة ، وأشعار فائقة ، ورسائل بدیعة » (٢٧) .

ومن تنديره المستطرف أنه دخل، يوماً، على بعض الولاة بمالقة . فسأل الوالي عنه كاتبه أبا محمد ، عطاء بن غالب الهمداني ، المعروف بـ « ابن أخت غالب » ، فقال عطاء : « هو رجل من أهل البادية ! » ، فقال ابن الأصم : « نعم البادية على وجهي بادية ، لا أنكر حاله ولا أعرف بخالي ! » ، فأسكت عطاء مفحماً ، وأعجب الأمير والحاضرون بجوابه (٢٨) .

ومع البداوة البادية عليه ، فإنه كان يملك - عدا ما نعت به من « التندير المستطرف » - حساسية للتذوق الشعر لا حد لها ، مما جعل صاحب « نفح الطيب » يقدم لنا ما كان منه ، في يوم من الأيام ، دليلاً على رقة أهل الأندلس جميعاً !

يقول المقرئ في ثنائه على الأندلسيين :

« من لطف أهل الأندلس ورقّة طباعهم ما حكاه أبو عمرو [سالم] بن سالم المالقي (٢٩) ، قال : كنت جالساً بمنزلي بمالقة ، فهاجت نفسي أن أخرج إلى الجبّانة ، وكان يوماً شديد الحر ، فراودتها على القعود فلم تمكّني من القعود . فمشيت حتى انتهيت إلى مسجد يعرف بـ « رابطة الغبار » (٣٠) ، وعنده الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن علي المالقي (٣١) ، فقال : اني كنت أدعو الله تعالى أن يأتيني بك ، وقد فعل ، فالحمد لله . فأخبرته بما كان مني ، ثم جلست عنده ، فقال : أنشدني ! فأنشدته لبعض الأندلسيين :

غضبوا الصباح ، فقسّموه خلدوا !      واستوعبوا قضب الأراك قلدوا !  
ورأوا حصي الياقوت دون نحورهم      فتقلّدوا شهب النجوم عقودا !  
لم يكفهم حدّ الاسنة والظبي      حتى استعاروا أعينا وخذودا (٣٢)

« فصاح الشيخ ، وأغمي عليه وتصبّب عرقاً ، ثم آفاق بعد ساعة ، وقال : يا بني ! اعزني ، فشيئان يقهراني ، ولا أملك نفسي عندهما : النظر إلى الوجه الحسن ، وسماع الشعر المطبوع » (٣٣) .

وقد حفّلت ترجمة أبي محمد ، التي قدمها لنا ابن عبد الملك ، بشواهد من مخاطبات كانت بينه وبين صديقه المالقي أبي الحجاج بن الشيخ . ويلاحظ أن أبا الحجاج كان البادية فيها برسانل نثرية وشعرية ، وابن الأصم يستجيب لها بنثر منه وبشعر .

## ٥ - أبو الحجاج بن الشيخ :

ومن المؤسف لنا اليوم ، أن ترجمة أبي الحجاج في « الذيل والتكملة » - التي كان ابن عبد الملك قد وعد ، لدى ترجمته لابن الأصم ، بأنها آتية - قد وقعت في سفر من أسفار الكتاب مفقود ، أو هي سقطت من آخر الأسفار ، الثامن ، الذي حقّق ونشر بصفته قطعة من السفر وليس السفر كاملاً !

ولكن ابن الأثير ترجم له في « التكملة » . فسماه : يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البكوي ، المالقي ، أبو الحجاج ، يعرف بابن الشيخ . ولد سنة ٥٢٧ ، وتوفي

في رمضان ٦٠٤ (١٢٠٨ م) . وقد رحل - وله من العمر ثلاثة وثلاثون سنة - الى المشرق لأداء الفريضة وتحصيل العلم ، فأخذ في بجاية والثغر ومكة المكرمة . « وكان منقطع القرين في الزهادة والعبادة ، مُجهداً في العمل ، يُشار اليه باجابة الدعوة » .

وقد وصفه في هذه الترجمة بأنه كان « موفور الحظ من علم اللغة والأدب متقدماً فيهما ، مشاركاً في العربية والفقه والأصول ، من العلماء العاملين ، مؤيداً على الطاعات مُعاناً عليها » . وذكر أنه « بنى في بلاده مائة وخمسة وعشرين مسجداً من صميم ماله ، وعمل فيها بيده ، وحفر بيده آباراً عدة أزيد من خمسين بشراً (٣٤) . وغزا عدة غزوات مع المنصور بالمغرب (٣٥) ومع صلاح الدين بالشام (٣٦) » .

وبدا أن شخصيته الفكرية قد استوقفت المستعرب الاسباني أنخل جنثالث بالنيثيا ، فأفرد له فقرة في كتابه « تاريخ الفكر الأندلسي » ، قدم فيها عنه معلومات مركزة لقرائه من الاسبان ، قال :

« ... وله رحلات الى المشرق ، جمع فيها ملاحظات طريفة ، كوصفه لمنارة الاسكندرية ، وهو أكمل وأدق ما لدينا عن هذا الأثر الجليل . وقد وضع لابنه « كتاب ألف باء » ليعلمه ويؤدبه (طبع في القاهرة ١٢٨٧ هـ) ، وهو أشبه بموسوعة جامعة لفنون الثقافة العامة ، وقد كتبه في أسلوب بليغ والتزم فيه السجع بين الحين والحين ، ورتب مواده على حروف المعجم . تناول ابن الشيخ في كتابه موضوعات في الحساب والطبيعة والنبات والحيوان ، وتكلم على الانسان (صفة أعضائه وإصلاح وجهه وفوائده ورفائله) ، وتحدث في علم الاجتماع والشرعية والأديان والمذاهب وفقه اللغة ومخارج الحروف والنحو ومعاجم اللغة وعلم الصرف والشعر والحكايات والأساطير . والكتاب عبارة عن موسوعة مختصرة تجمع أطراف ثقافة أوساط الناس في عصره وتجعلها في متناول قارئه » (٣٧) .

وأورد المقرئ ، في تتبعه الكلام الأندلسيين الدال على سبقتهم ، هذين البيتين لابن الشيخ :

أطلب لنفسك فوزها ، واصبر لها      نظر الشفيق ، وخف عليها واتق  
من ليس يرحم نفسه ويصدنها      عما سيهلكها ، فليس بمشفق! (٣٨)

## ٦ - الجارة .. التي تهوى التعذيب !

نحن ، اذن ، بازاء شاعرين أندلسيين ذوي سمات اسلامية واضحة . ولكن ما نحن بصدده ليس شائناً دينياً ، بل هو أدبي شعري ، وعلى وجه التحديد: بيتان من الشعر التقليدي ، يتعلقان بالمرأة ، وبشكوى المحب من ظلم المحبوب وتجنیه ، مما جرى الشعراء العرب ، في توالي عصورهم ، على التعبير عنه ، والتفني به ، وإنشاده في المجالس ، إثارة للمشاعر وإطلاقاً للخيال ... دون الاهتمام بما ان كان هذا الشعر يستند الى تجربة في الحب واقعية أو متخيلة ، وليس يتطلب فن الشعر ذلك على كل حال !



والبيتان ، اللذان كان ابن الأصم قد أنشدهما يوماً لصديقه ابن الشيخ ، هما  
(من بحر الوافر) :

باحدى هذه الخيمات جاره ترى هجري وتعذبي تجاره  
وكم ناديت : يا هني ارحمينا ! فلسنا بالحديد ولا العجاره (٣٩)

في البيتين شكوى من شكاوى الحب التقليدية . ولكن الطريف في هذه الشكوى ، أن  
الشاعر توسل ، للتعبير عنها ، بالمألوف واليومي من الألفاظ والمعاني ، حتى ليخيّل إلى قارئ  
اليوم - وقد انقضى ما يزيد على ثمانية قرون من عمر البيتين - أنهما من قريحة شاعر معاصر !

وبدا أن أبا الحجاج بن الشيخ قد استحسنهما . يقول في سجع مما كان يمليه  
العصر (٤٠) : « فأنشدهما ، ذات يوم ، جماعة من الإخوان ، من أهل الحذق والاعتقان ، فكل  
استملحهما ، حين لمحهما ، وومقهما ، اذرمقهما ، واستحلاهما ، لما نشرت حلاهما ،  
متابعاً الرواية :

الى أن قال أحدهم : « هذا السحر الحلال ، والماء الزلال ، لكن تعالوا نذيل البيت الأول ،  
على ألا مطمع لكم في قافيته ولا معول ، لأنه التزم فيها خمسة أحرف تباعاً ، وهذا شيء  
يقصر كلكم عن الاتيان بمثله باعاً (٤١) ، وأما قافية الثاني فربما ، على أنها أبعد من  
السما ! » .

فقلت له : « يا هذا ! لقد ضيقت واسعاً ، وأياست ظامعاً ، وزعمت أن ليس في الحي ،  
من حي ، ولا في النادي ، من نادي ، ولعل من تزدريه ، يدريه ، وعسى من تحقره يجيب ،  
بالأمر المعجيب ! » .

فقال : « بسم الله ادع' التزّال بهذا الميدان ، وابرز' للقتال ان كان لك به يدان ! » .

فقلت : « ليُخرج كل واحد منكم ما عنده ، وليجهد جهده ، وليقل على قدر وسعه ، ورقّة  
طبعه ، ثم لتبعث به الى قائل البيتين ، ولنحكّمه فانه عدل' ما عنده ميّن ، يميّز  
الطيب من الخبيث ، والجيد من الرّثيث » .

ثم يقول أبو الحجاج :

« فرضي كل منا بهذا القول ، واستعنا بذئ القوة والحول ، والمنّة والطول ، وقال  
كل فصيح منهم ما أمكن ، وزاحمتهم أنا بلساني الألكن ، وألقيت دلوي في دلائهم ،  
وجعلت أمشي خلف أدلائهم ، ثم جمعت ما نظموه ، ورفعت ما رسموه ، وبمّنت به  
اليه طرائق قددا ، ولم أسمّ من قائله أحداً (٤٢) ، بيد أنني أخّرت شعري لركنّه ، وقدمت  
شعرهم لركنّه ، وكتبت بهذه الأبيات ، التي ذكرها يات ، أقمّتها مقام الرسالة ، وإن لم  
تكن ذات جزالة ، فانك تصل الى مفهومها ، من منظومها ، وتقف على المعنى الواضع فيها ،  
من قوافيها ! » (٤٣) .

## ٧ - الشعراء « المتسابقون » :

كان عدد الشعراء ، الذين « تنافسوا » في هذه المعارضة الاخوانية ، سبعة ، وثامنهم راوي البيتين أبا الهجاج بن الشيخ . ومن المؤسف - كرة ثانية - أن المصادر الأندلسية ، التي رجعت إليها أملاً في التعريف بهم ، لم تنجذني الا يسيراً ، ولعل ذلك لأن الرواية اكتفت بالإشارة إليهم بالكُنَى ، مما فوّت فرصة تتبع أسمائهم في كتب الطبقات (٤٤) . والشعراء هم :

- الأول : الهجاج أبو عبدالله بن سلمة . وقد قدّم ، بعد البيت الأول ، ثلاثة أبيات له .
- الثاني : أبو عبدالله بن الحناط . قدّم ، بعد البيتين ، ثلاثة أيضاً (٤٥) .
- الثالث : أبو القاسم الكاتب . قدّم ، بعد البيتين ، ثلاثة .
- الرابع : أبو علي القرطبي . قدّم ، بعد البيتين ، ثلاثة أيضاً .
- الخامس : أبو علي بن كسرى . قدّم ، بعد البيتين ، بيتين له .

وقد ترجم ابن الأثير لهذا الشاعر : حسن بن محمد بن علي الأنصاري ، من أهل مالقة ، أبو علي ، ويعرف بـ « ابن كسرى » . أخذ بعض علمه في مراکش . أديب ، صاحب منظوم . توفي بمالقة سنة ٦٠٣ ، أو ٦٠٤ (٤٦) .

وذكره المقرئ : أبو علي الحسن بن كسرين (٤٧) ، المالقي ، الشاعر المشهور . وقد على أمير اشبيلية ، أبي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن (من الموحدّين) ، فأنشده قصيدة طار مطلعها في الأقطار كلّ مطار :

قسماً بحمص ! انه لعظيم فهي المقام وأنت ابراهيم (٤٨)

- السادس : أبو عبدالله الحجّاري . قدّم ، بعد البيتين ، بيتين له .
- السابع : القرشي بن أحمد . قدّم خمسة أبيات .
- والثامن : هو أبو الهجاج بن الشيخ . قدّم ، بعد البيت الأول ، ستة أبيات .

## ٨ - رسالة في التماس « التحكيم » :

تضمنت رسالة أبي الهجاج الى صديقه ابن الأصم - التي جاءت أشبه بما نسميه اليوم « صك التحكيم » - مقطوعات شعرية له ثلاثاً ، عرض فيها المسألة على الشاعر المحكّم ، مغرضاً اليه أمر التحكيم : « فاحكم بحكمك ان حكمتك نستجيده » ، وأخذ على عاتقه أن يقبل المتبارون بحكمه ، متعهداً ومتوعداً - وكان ذلك منه أمراً إدّاءاً ! - بأن « من لم يقطع يقطع ، بأمركم ، وريده » ! وقدّم ، في ذلك ، المقطعات الشعرية المعارضة الثمانية ، التي أثّرنا أن ننقلها من نص هذه الرسالة الى نص رسالة المحكم أبي محمد بن الأصم ، رغبة منا في أن نجتمع بين كل مقطوعة وبين الرأي المدّلى به حولها في مضممار واحد .

يقول أبو الحجاج بن الشيخ (بحر الوافر) :

« أتاك الشعر ، قد حشرت جنوده  
بكل مدجج بطل كمي ،  
معسكره تفضل البلق فيه  
ولكن لا ترع ، فالكل سلم  
وبعد ، اسمع ، أقل ، ولرب قول  
تجمعنا ، نقول الشعر يوماً  
فذيّلنا لكم بيتاً ، كسته  
وكل يدعي أن المعلى  
فقد مناك للتمييز ، فاحكم  
فانت أمام أهل الشعر طراً  
وانت نسيج وحدك ، لا تبارى  
وهذي الخيل قد عرضت ، فعرب  
وضع وارفع ، وقل تسمع ، ومن لم  
» أدام الله لك العافية .

« لما كان الشعر المذيل على غير هذه القافية ، أردت أن تكون قافية شعر هذه  
الرسالة كتلك ، فقلت والله الملك :

« تذاكرنا القريض وقائليه  
فقالوا: الشعر سهل ! قلت : كلا  
حسبتم أن حوك الشعر مثل ال  
فقالوا: ذاك أسهل ! قلت: أين الش  
أنا آتيكم منه بيت  
فقالوا: هات ! قلت لهم : أجيروا  
فقالوا لي : وانت فقل ! فقلنا  
وطال بنا النزاع ، وليس منا اذ  
بفضلك ، يا فقيه ، احكم علينا  
وقل حقاً ، ولا تستحي منّا

لنعلم فرعه ونرى نجاره  
أروني ، من صدورك ، انفجاره  
- حياكة والخياطة والتجارة !  
- جاع يلج على أسد وجاره ؟  
وأعطي من يذيّله الأجاره  
« باحلى هذه الخيمات جاره »  
وكل يدعي أن بذّ جاره  
رؤ ، من ذاك ، صاحبه أجاره  
بحكمك واغتتم هذي التجاره  
ومن يفضب بعض على الجاره »

وبعد أن يقدم أبو الحجاج المقطعات الثماني ، مفعلة من أسماء أصحابها ، يختتم  
رسالته بقوله :

« يا سيدي !

« لك الفضل ، بيّن لنا من أصابَ      طريق الصواب ، ومن أخطأ ؟  
ومن كان في السَّيَرِ مستعجلاً      ومن سار قصداً ، ومن أبطأ ؟  
ومن نخلُ بستانه أثمرتْ      ومن زرعُ فدائه أشطأ ؟  
فكلٌّ يرى أن أرضَ القريض      بخيلِ الإصابة قد أوطأ !

« أدام الله عزك !

« هذه الأخبار لم يزل أهل الآداب يستطرفونها قديماً وحديثاً (٥٠) ، ويسرون إليها سرّاً حثيثاً ، وأنت - وفقك الله - وإن كنت قد تركت هذه الطريقة ، وسلكت سبيل الجِدِّ والحقيقة ، فلك - والحمد لله - باخوانك اهتمام ، ولا سيما بمن بينك وبينه ، أي ذمام ، وأيضاً فللكتاب جواب ، وهو في اللّزام كردّ السلام ، فلا يثقل عليك - أتمّ الله نِعَمَه لديك - وأجب بما تيسّر وخفّ ، فقد مددنا إليك كلّ مقلّة وكفّ .

« والسلام عليك ، ورحمة الله ، وبركاته » (٥١) .

٩ - « تقرير التحكيم » !

وقد جاءت رسالة أبي محمد بن الأصم أشبه بما نسميه اليوم « تقريراً » من المحكّم ، أو من « لجنة التحكيم » ، لولا أن الطابع الأدبي الشخصي ، في الرسالة ، قد غلب على النّزعة العلمية الموضوعية ولكن لم يطمسها !

فقد كان « المحكّم » يتوقف عند هذا البيت أو الشطر أو المعنى ، من هذه الأبيات أو تلك ، ويترك النظر في سائرهما ، مستجيباً في ذلك لروح الدّعابة . فان ما كان يكتبه ، في ساعته تلك - سقى الله أيام فردوسنا المفقود ! - لم يعد أن يكون رسالة « اخوانية » . وغني عن البيان أنه ما كان ليدور في خاطره ، وهو يخطئها ، أن سيحتضنها - بعد مئة عام - كتاب يؤلّفه من اسمه ابن عبد الملك الأنصاري المراكشي ، « ولا أن « موضوعاً » سيدور حولها بعد سبعمئة سنة أخرى !

يقول الفقيه أبو محمد بن الأصم :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

« صلى الله على محمد ، وعلى آله ، وسلم تسليماً .

انّ خليلاً لي من قضاة  
ذكّرني أيامي المضاع  
إذ الهوى واللّهو لي بضاع  
مهلاً ! فذاك الدرّ قد أضاعه  
خلك لم يستدِم ارتضاعه

« أيها الحسيب ! إلى متى هذا التغزل والتسيب؟ ألم تنفد أيام الجهل؟ ألم يعد الفتى كالكله؟ أما والله ، لقد أحاطت بالرقاب السلاسل (٥٢) ، وأن أن يخاف ، من العقاب ، المتغزل المراسل ! (٥٣) »

« رويدك - وأنا المراد - رويدك ! فقد طالما أوهنت في تلك الخزعات عمرك وأيدك ، وعصيت في النصيح عمرك وزيدك ، واتبعت الأثر وتركت صيدك . ودراك دراك ، سكون الحراك ! وخل عنك ساجعات الأيك ، وقل لها : وراك وإليك ! (٥٤) »

« ثم ما أنت وعهد « ساكنات الخيام » (٥٥) ، وإن كانت من مباركات الأيام ؟ كم تسال عن أنباء سعاد سعاداً ! هلا قلت قول الألباء سحفاً للهوى وبعداً ؟ هذا أوان الشر ، يا من أرمى على الأثر !

« تعال فلنخلع تلك اللينات من الملابس ، ولنرجع عن الترهات البسابس ، ولنذر الديار وساكناتها ، ولنقر الأطياف على وكناتها ، ولنذهب في منهاج من صالح العمل ، ولنتأهب لانزعاج ليس يسمى به الجمل (٥٦) ، هذا ، والله ، هو الرأي السديد ، عند ذوي الرأي الحديد !

« ومع هذا فلا بد أن نسلك في مسالك أدنى سبل الاسعاف ، ونتمسك من الجواز بالأحبل الضعاف ، ونتذوق حلاوة أخبار الاستهتار فلها طعم لذيد ، ونصدق إزاء من آثانا بها صفراء يزعم أنها نبينا !

« وقد ذكرت أن قوماً من الشعراء ، ذيّلوا لي بيتاً قد كان عندي متبوذاً بالعراء ! وأردت أن أقف على أبياتهم ، وأعرف كيف تفاوتهم في غاياتهم ، وزعمت أن لي بصراً بالتفريق ، بين من سار قصداً أو حاد عن الطريق ، فسأف عليها وإن كان الباع قصيراً ، ولم يكن الناقد بصيراً :

فان لا أكن كل الشجاع ، فاني      بضرب الطلى والهام حق عليم  
والأأكن كل الجواد ، فاني      على الزاد ، في الظلماء ، غير لثيم (٥٧)

● [ الشاعر الأول : الحاج أبو عبدالله بن سلمة ] :

باحدي هذه الخيمات جاره	تري هجري وتعذيبي تجاره
وتبسم عن اقاح لؤليات	وقلب غضنفر قد اتى وجاره
فلولا أن مرأ خاف رباً	فيستحي ويسترعي نجاره
لعض بصارم غضب رؤوسا	تكاليها بضرب كالنجاره (٥٨)

يقول ابن الأصم :

« قال أحدهم : فلولا أن مرأ خاف رباً . . . (البيت) ، هذا كلام لا يصدر إلا عن الرصين المذهب ، الذي لا تستغزه ذوات العيون والبنان المخضب ، وما أقربه من منزلة الفلاح ،

من خافريته في مواصلة الملاح! ولشد ما أبرق في شعره وأرعِد ، وتهدد وتوعّد ، وموّه  
وشموذ ، واستطال على الجزالة واستحوذ ! عفا الله عنه ، ان لم يكن ذا صارم غضب ،  
فانه ذو لسان عذب ! « (٥٩) » .

● [الشاعر الثاني : أبو عبدالله بن الحنّاط] :

تري هجري وتعذبي تجاره	باحدي هذه الغيمات جاره
فلسنا بالحديد ولا العجاره (٦٠)	وكم ناديت : يا هذي ارحمينا !
( ..... ) (٦١) جاره	فقطت ، عندما سمعت ، وقالت :
فقد البستني بـرد الاجاره	أما تخشي إلهك ، يا منعتي ؟
ولم تسألني من نار اجاره (٦٢)	أغرك حلمه ، فنطقت زورا

يقول ابن الأصم :

« وتاليه على أحسن هدي وأمّ ، وهما في الخشية رضيما ثدي أمّ ، وصاحبه واعظّة  
فصيحة ، نصحته والالدين النصيحة ، وكررت الوعظ وكسرت النعظ ، لله درها ! لقد علا  
في الصالحات قدرها » (٦٣) .

● [الشاعر الثالث : أبو القاسم بن الكاتب] :

تري هجري وتعذبي تجاره	باحدي هذه الغيمات جاره
فلسنا بالحديد ولا العجاره	وكم ناديت : يا هذي ارحمينا !
ومن أشاركنا يرجو انسجاره ؟	فما لت نحو خيمتها وقالت :
قطعنا من حبائلنا هجاره	قلا يك طامعا في النيل ، انّا
وربّما نحلل بالاجاره (٦٤)	وانّ وصلنا بـسل حرام

يقول ابن الأصم :

« والثالث غير مبغوس الكَيْل ، وهو القائل : « فلا تك طامعا في النيل » ، وانه من  
النسيب ، لموفور النصيب ، وان حرمته صاحبه وصلا ، وجعلته حراما بتلا ، فقولها :  
« وربّما نحلل بالاجاره » ، دليل على أن قد لان بعض الججاره ، وقد أوجدت السبيل  
الى التحليل ، غير أن « ربّ » للتقليل ! « (٦٥) » .

● [الشاعر الرابع : أبو علي القرطبي] :

تري هجري وتعذبي تجاره	باحدي هذه الغيمات جاره
فلسنا بالحديد ولا العجاره	وكم ناديت : يا هذي ارحمينا !
أجيره من الشكوى اجاره	أجيبني هائما صبّا مشوقا
ويرحم في صابته نجاره	فمثلك قد يـرقّ لمستهام
أصار بحسنه قلبي وجاره (٦٦)	سلام طيب عبق على من

يقول ابن الأصم :

« ولتني كنت جاراً ، لمن أصار حُسنُ الجارة قلبه لها وجاراً ! هذا العاشق حقاً ،  
وسحقاً لمن قال : « فسَلَّيْ ثيابي من ثيابك » سحقاً ! (٦٧) لقد توسل في شعره بلطيف سبب ،  
وأشار إلى شريف نسب ، واجاد الخضوع لمحبوبه والضراعة ، حتى كاد يُمدُّ إلى مطلوبه  
ذراعاً » (٦٨) .

● [الشاعر الخامس : أبو علي بن كسرى] :

باحدي هذه الغيمات جاره	تري هجري وتعذبي تجاره
وكم ناديت : يا هذي ارحمينا !	فلسنا بالحديد ولا الحجاره
سلي في ملتقى الخيلين زحفاً	اذا سأل الردى مني الاجاره
هنالك تعرفين خطير قدري	وتسترضين من حر نجاره (٦٩)

يقول ابن الأصم :

« ولقد أرسل نهاره في الحرب وارداً وحفاً ، من قال : « سَلِّي بي ملتقى الخيلين  
زحفاً » (٧٠) ، فان يصدقُ فليست في لبس ، انه أشجع من أخي عبس ، الا تراه يقول :  
« اذا سأل الردى مني الاجاره » ؟ فهذه بليّة ، زائدة على المنية ، وعنترة يقول :

ان المنية لو تُمَثَّل مُثَلَّتْ مثلي ، اذا نزلوا بِيضْنِكَ المنزل

« فهذا يزعم أنه يُشبه الموت ، وبينه وبين من يستجير منه الردى قوت ، وان صحَّ  
دعواه ، عند من يهواه ، جَنَّتْ يُمناه ، ثَمَرَ مُناه ! ... » (٧١) .

● [الشاعر السادس : أبو عبدالله المجازي] :

باحدي هذه الغيمات جاره	تري هجري وتعذبي تجاره
وكم ناديت : يا هذي ارحمينا !	فلسنا بالحديد ولا الحجاره
اجيري هائماً كلِّفاً مُعَنَّى	فكم ظبني سواكم قد اجاره
شريف الحب ، ليس يريد وصلًا	سوى لثم ، فَصَل فيه نجاره (٧٢)

يقول ابن الأصم :

« وحبذا القائل : شريف الحب ... (البيت) ، هذا رجل يرجع الى عفاف ، ويقنع  
بكفاف ، سلك في هواه أحمد طريقه ، وقنع ممن يهواه بمجته ريقه ، ليس كالعسل ،  
الطالب للنسل ! واذا تمادت العلة ، واشتدت الغلّة ، فلا شاف ، كارتشاف ، ولا مطفىء  
حريق ، كرشفة ريق ! ولعمري لقد شارك في الصفة ، من كان عنه الضمير فاسق الشفّه !  
أيومن هذا الفاضل وأين مَنْ ؟ ومثله فليؤتمن ! غير أنه يبعد عندي أن يكون الجازر  
ينفخ ، ولا يسليخ ! وكيف تجتمع شفاه الأحباب ، ثم لا تقرر حلقة الباب ؟ ! وهل سمعت بمن  
رتع حول الحمى وان كان محترزاً ، الا اذا صيّرهُ جُرْزاً ! » (٧٣) .

● [الشاعر السابع : القرشي بن أحمد] :

[باحدي هذه الخيمات جاره  
وحاش الحسن منك - فديت - أن لا  
فرحمي منك ، أو عتبي إلينا  
بحكم الحب ذاب جوى ، وطرفي  
ومن تصد العيون له فؤادا

تري هجري وتعذبي تجاره  
يجر من البعاد من استجاره  
فقلبي من هوى يابى ازجاره  
أبى ، من دمه ، الا انفجاره  
تبّت حوباؤه للشوق جاره ! (٧٤)

يقول ابن الأصم ، متسائلا :

« وخبرني : أمالقي ، من سأل في شعره العتبي والرحمي ، أم عراقي ، وقد سكن  
الرحمي ؟ ينساب في توصّله إلى المأرب أنسياب الأيّم ، ويلج بلطف توسله على الكواكب  
أبواب الخيم ، وكل رفيق ، فذو توفيق ! » (٧٥) .

● [الشاعر الثامن : أبو الحجاج بن الشيخ !] :

[باحدي هذه الخيمات جاره  
برؤيتها تظن ، وكل جار  
فتاة من بني النجار (٧٦) تأبى  
تعمّم رأسها بضفير فرع  
فتنت بها ، وقد فتنت قديما  
وتشتجر العوالي في هواها  
واني مستجير من هواها

تري هجري وتعذبي تجاره  
- علمت - يرى مع الساعات جاره  
من القلب الشجي الا انتجاره  
وتحكّم ، يا خليلي ، اعتجاره  
حجيج مني ، وقد فتنت تجاره  
وكل يرتضي فيها اشتجاره  
ولكن ليس تنفع الاستجاره (٧٧)

يقول ابن الأصم :

« وأما الذي فتنته إحدى بنات النجار ، فروضه في الشعر أنف الينمة والجرنار (٧٨) ،  
نيّف على أخوانه في اللزوم ، وزحف إلى أقرانه مشدود الحيزوم (٧٩) .

« غير أن في شعره : « فتنت بها وقد فتنت قديما ... » (البيت) ، اني أسأله  
عن هذه المرأة ، يا أبا الحجاج (٨٠) : كيف فتنت قديما قلوب الحجاج ، ثم لم يغيّر  
القدم بهجتها ، منذ قضت حجتها ؟ ولم يزل القدم يغيّر الحدود والرسوم ، فكيف  
الحدود والجسوم ؟ وأخبر أنها الآن تعمّم رأسها بضفير فرع ، وهذا رأس يجب أن يكون  
أرضا غير ذات زرع ، وليس هنا شبهة ، في أنه كلّه جبهة ، ومن أخبرك من الفتيات  
الناسكات أنها مسنة ، فقل لهن أن إنّه ، مستحيل غير جائز ، أن يفتتن هذا الشاعر  
بالعجائز !!

« فان أزال لفظة « قديم » ، فانا له أصحاب من نديم ! » (٨١) .



## ● [ ختام الرسالة ] :

« ثم نعود الى استغفار الملك الغفار ، فان رحمته واسعة ، وعن المحسنين غير شاسعة ، انلهم اجعلنا من عبادك المحسنين ، واغفر لنا ما اجرمنا في سالف السنين ، واستعملنا بطاعتك بقية اعمارنا ، وأصلحنا في اعلاننا واضمارنا ، انك كريم رحيم . »

« أعزك الله . ربما كان في كلامي بعض دعاية ، لم أذهب بها الى معابة ، فلك الفضل في بسط العذر لديهم ، وايصال التحية اليهم . »

« ثم السلام الأتم ، الأعم الأكرم ، على أخي ووليي في الله ، الفقيه الأجل أبي الحجاج ، ورحمة الله ، وبركاته » (٨٢) .

### ١٠- كلمة أخيرة :

في المقطعات الثماني التي قدمناها ، وفي الرسالتين المتبادلتين ، تتضح أمورٌ نحب أن نشير اليها :

**أولاً :** تتجلى ، في الرسالتين ، بعض خصائص أدب التراسل : من تبادل التقدير بين المرسل والمرسل اليه ، ومن تواضع الطرف الأول الى حد الازراء بالذات (أو بأدبها) ، مع الحرص البالغ على الاعلاء من شأن الطرف الآخر (المرسل اليه) .

**ثانياً :** لقد خلا ما أطلقنا عليه تجاوزاً « تقرير التحكيم » ، مما يمكن أن نسميه « الحيثيات » و « منطوق الحكم » ! الا أنه نم ، من ناحية ثانية ، على ثقافة المحكم في الشعر والتراث ، وكشف عن فهمه للنقس وللحياة .

**ثالثاً :** في المقطعات الشعرية اعتدادٌ من الشعراء بشاعريتهم وبرجولتهم ، وفيها شكوى من آلام العشق والهجر ، على ما ينبغي أن يتسم به الشعر العربي الذي يتغزل فيه الشاعر بمحبوبه . ولكنهم بدوا « مستسلمين » لحكم المحكم ، كما عبّرت عنه « رساله في التماس التحكيم » !

**رابعاً -** بدت الأشعار ملتزمة أخلاقياً . وكان المحكم - الذي شكّا ، في شببته ، من هجر جارتة له ! - أكثر منها التزاماً بالدين والأخلاق ؛ وآية ذلك أنه ، وصفيّه ملتزم التحكيم ، كانا ، في وقتها ، من فقهاء مالقة المرموقين .

**وأخيراً :** لقد تضاعف ، في المقطعات الشعرية جميعاً ، عنصر هو أهم عناصر الشعر الغزالي : العاطفة الصادقة ! وما ذلك الا لأن الأشعار جاءت تذييلاً لما قاله شاعر آخر ، ولم تكن من وحي الذات ، فكان أصحابها كانوا ينسجون على منوال غيرهم :

وبعد ...

تروي المصادر الأندلسية أن جماعة من أعيان الأدباء والوشاحين، في اشبيلية، اتفقوا، ذات يوم، على أن يصنع كل واحد منهم موشحة ٠٠٠ فلما أنشد أحدهم، « الأعمى التتيلي »، موشحته التي مطلعها :

ضاحكٌ عن جُمانٍ      سافرٌ عن بدرٍ  
ضاقَ عنه الزمانُ      وحواه صدري

خرق كل منهم موشحته ! (٨٣) .

والم نعلم أن واحداً من شعرائنا الثمانية قد خرق مقطوعته ! ذلك لأنهم - وقد ارتضوا أن يقدّموها للتحكيم - اعتقدوا أنهم قد تأتي لهم أن يضاهاها بها البيتين اللذين ذيلوا . ثم أنهم ، بعد تبليغهم رسالة ابن الأصم ، كانت أشعارهم قد خرجت من أيديهم لتحتويها كتب الأدب .

ولكن أهمية دراستنا هذه لا تكمن في ما نتوقعه في تلك الأشعار من روعة الفن وبارع الابداع ٠٠٠ بل في طرافة الموضوع ، وفي محاولتنا ابتعاث الحركة الأدبية اليومية ، التي كان ينبض بها وطن ، نطق - عصر أطويلا - بلفتنا ، ثم - بتهاوننا وتراخيها - فقدناه .

#### □ الحواشي والتعليقات :

١ - ولد ابن عبد الملك بمراكش سنة ٦٣٤ هـ . كان مؤرخاً وأديباً ، ولي قضاء مراكش مده ثم تحي لعدة في خلقه ، صرف جل عمره في تصنيف هذه الموسوعة الأندلسية وما قدر له أن يتمها ، . وحكى ولده سمييه ، أبو عبد الله محمد ، أن الأب قصد ، أيام شبيبته ، عبور البحر يرسم الجواز إلى الأندلس ، فبلغ منها الجزيرة الخضراء ، وحضر بها صلاة جمعة واحدة ، وأقام بها ثلاثة أيام جائلاً في نواحيها أخذاً عن أهلها ، ثم قال : « حصل لنا الغرض من مشاهدة بعض البلاد الأندلسية والكون بها ، والحمد لله على ذلك ! » وعاد قافلاً إلى أرضه . توفي بتلمسان سنة ٧٠٣ هـ ١٣٠٣ م ، « كتاب المرقبة العليا » ( تاريخ قضاة الأندلس ) الصفحات : ١٣ - ٣٢ .

٢ - طبعت هذه الكتب الثلاثة غير مرة ، أولاها بمديريد في أواخر القرن التاسع الميلادي وأخرها بالقاهرة سنة ١٩٦٦ ضمن سلسلة « المكتبة الأندلسية » .

٣ - « الذيل والتكملة ٠٠ » ٨ : ٧٨ و ٧٩ . ويقول الباحث المغربي الأستاذ محمد الفاسي : « واني اعتبر كتاب « الذيل والتكملة ٠٠ » أعلي ما بلغ إليه فن الترجمة عند العرب ، بترتيبه وتحقيقه واسلوبه وتدقيقه ، وبعريته الفكرية ، وتصديده لنقد سابقه تقدماً نزيهاً ٠٠٠ » ، « الذيل والتكملة ٠٠ » ٦ : ١ .

٤ - وتولت طبعها دار الثقافة ببيروت ما بين ١٩٦٤ و ١٩٧٣ ، عدا السفر الثامن الذي تعهدته أكاديمية المملكة المغربية سنة ١٩٨٤ .

٥ - الربض ، بفتحين : ما يقوم حول المدينة من الأحياء ، ويقابلها في مصطلحنا اليوم : الضاحية .

٦ - « الروض المعطار ٥٠٠ » : ٥١٧ و ١٨ •

ويقول الباحث محمد عبد الله عنان انه قد بنيت ، فوق انتقاض الجامع ، كنيسة مالقة العظمى ، التي ترجع الى القرن السادس عشر • ويقول ان مما بقي في مالقة من الآثار الاسلامية أثرا ذا أهمية خاصة ، هو السوق القديم ، الذي ما زال يحتل موضعه منذ العصر الاسلامي ، وهو يقع اليوم في وسط المدينة ، وهو عبارة عن ساحة مربعة واسعة مخصصة لبيع البقول والأسماك والطيور وغيرها • ومازال هذا السوق يحتفظ ببابه الأندلسي القديم كاملا ، وفي حالة جيدة ، وهو باب مرتفع ذو عقدتين ، وعلى جوانبه العليا زخارف وكتابات عربية يتخللها شعار بني نصر ملوك غرناطة : « ولا غالب الا الله ... »

ويقول ، رحمه الله : ان في جانب من مالقة « شبكة من الدروب الضيقة الملتوية ، تقوم عليها منازل متواضعة ذات طابق أو طابقين ، ومواقعها فيما يرجح تمت باوثق صلة الى جانب من خطط مالقة الاسلامية » •  
« الآثار الاسلامية الباقية في اسبانيا والبرتغال » : ٢٤٩ - ٥١ •

٧ - « الروض المعطار ٥٠٠ » : ٥١٨ •

٨ - وما دمنا في ذكر تين اشبيلية والاشارة الى دخوله في الادوية ومنفعته ، فانا نحب ان نذكر بما اورده ابن أبي أصيبعة في ترجمته للطبيب الاشبيلي عبد الملك بن زهر ( ت ٥٥٧ هـ ) ، فقد كان يعاصره في اشبيلية حكيم فاضل في صناعة الطب معني بالادوية المفردة ( من نباتات وغيرها ) ، وكان ابن زهر مغرما باكل ذلك التين الاشبيلي الطيب ! على حين ان صديقه الحكيم كان « لا يفتلي منه بشيء » ، وان اخذ منه شيئا فتكون واحدة في السنة ! ، فكان يقول لابن زهر : « لا بد ان تعرض لك نغلة صعبة بمداومتك اكل التين ! » ( والنغلة في مصطلحنا اليوم : التقيح الفنغريني أو الأكالي Pyodermic gangréneuse ) فيجيبه ابن زهر : « ولا بد لكثرة حميتك وكونك لم تاكل شيئا من التين ، ان يصيبك الشناج ! » ...

تقول الرواية : فلم يمت هذا الحكيم الا بعلة الشناج ، وكذلك مات ابن زهر من نغلة في جنبه !!  
ويضيف ابن أبي أصيبعة : « وهذا من ابلغ ما يكون من تقدمه الانذار » •

« عيون الانبياء في طبقات الأطباء » : ٥٢٠ •

٦ - في الاسبانية : Rey ملك ، و Reina ملكة أو سلطنة •

ورثه ، أو رثه ( بالضم ، كما في « الروض المعطار ٥٠٠ » ) ، هي التسمية القديمة لمالقة ، كما تقدم القول لابن سعيد •

١٠ - المتكلم هو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد • وجده الأخير كان صاحب قلعة بني سعيد قرب غرناطة والاب « موسى » ( ت ٦٤٠ ) كان قد تولى ، في عهد المتوكل بن هود ( ٦٢٥ - ٦٣٥ ) ، أعمال الجزيرة الخضراء ، المظلة على مضيق جبل طارق •

١١ - « المغرب في حلى المغرب » : ٤٢٣ و ٢٤ •

١٢ - محمد عبد الله عنان : « نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين » : ٢١٦ و ١٧ •

وانظر أيضا : « نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر » ( آخر أيام غرناطة ) مؤلف أندلسي مجهول ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية : ٩٢ - ٩٥ •

١٣ - « الآثار الاسلامية الباقية ٥٠٠ » : ٢٤٢ و ٤٣ ( ط الثانية ١٩٦١ ) ... والى اليوم يضرب المثل ، في بلاد الشام ، ب « الصعون المالقية » تلك المصنوعة من فاخر الخزف •

١٤ - « الروض المعطار ٥٠٠ » : ٥١٨ •

ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، آخر خلفاء بني أمية في الشام ( ١٢٧ - ١٣٢ هـ ) • تصدى لإصحاب الدعوة العباسية التي تنامت في عهده ، وانهزم جيشه امامهم في لقاء معهم قرب الموصل ... ثم قتل في بوصير ( من أعمال مصر ) • والمؤودة هم العباسيون ، لاتخاذهم الراية السوداء •

١٥ - « نفع الطيب ٥٠٠ » : ٣ • ٣٩٧ • وانظر : « المغرب ٥٠٠ » : ٤٣٣ •

والغال غانم ( ت ٤٧٠ ) اديب مالقة في عصره • له شعر ، وعلم باللغة والحديث والطب والكلام • وهو من شعراء الذخيرة في معاصر أهل الجزيرة « لابن بسام الشنتريني •

١٦- « الروض المعطار ٠٠ » : ٨١٥ ٠٠٠ وانظر في تفصيل ذلك : « أعمال الأعلام ٠٠ » للسان الدين بن الخطيب : ٥٥٧ و ٥٥٤ .

١٧- « الذيل والتكملة ٠٠ » ٤ : ١٩١ - ٢١٧ . وانظر أيضاً : فاضل السباعي : « تواضع العلماء » ( مجلة « الخفجي » ديسمبر ١٩٨٧ ) ، وفي المقال صورة مثالية لتوقد الذهن ونبل التواضع .

١٨- « الروض المعطار ٠٠ » : ٥١٨ . وانظر : « المرقبة العليا ٠٠ » : ١١٢ .

١٩- « المغرب ٠٠ » ١ : ٤٢٩ .

وأبو العلاء مامون . هو أدريس بن يعقوب المنصور ، من سلاطين دولة الموحدين ، كان حكمه من ٦٢٤ - ٦٢٩ .

٢٠- « الذيل والتكملة ٠٠ » ٥ : ٤٩٥ و ٩٦ .

٢١- ابن أبي أصيبعة : « عيون الأنباء » : ٦٠١ و ٦٠٢ .

ومما هو جدير بالذكر أن المستعرب الفرنسي ، الطبيب ، لوسيان لوكلير Lucien LECLERC ( ١٨٤٦ - ١٨٩٣ ) ،

ترجم موسوعة ابن البيطار الى الفرنسية وطبعت في باريس في السنوات ١٨٧٨ - ١٨٨٣ .

٢٢- « المرقبة العليا ٠٠ » ١٣٢ ، و « الذيل والتكملة ٠٠ » مقدمة المحقق ( الدكتور محمد بن شريفة ) ٨ : ٦١ و ٩٤ .

٢٣- « الاحاطة في اخبار غرناطة » ٢ : ٥٢٨ .

٢٤- « نهاية الأندلس ٠٠ » : ٢٠٦ و ٢١٦ .

٢٥- المنشأة : من حصون مالقة ( « نفح الطيب ٠٠ » ٤ : ٩١٥ ) .

٢٦- البيتان في : ابن الأبار « التكملة لكتاب الصلة » ( طبعة مجرط ١٨٨٧ ) ٢ : ٦٤٣ ، و « نفح الطيب ٠٠ » ٤ : ٣٢٨ .  
ويلاحظ التزام الشاعر بخمسة احرف في قافيته !

٢٧- « الذيل والتكملة ٠٠ » ٥ : ٧٦ و ٧٧ .

٢٨- « الذيل والتكملة ٠٠ » ٥ : ٧٥ . وانظر أيضاً : « صلة الصلة » لابن الزبير ( ت ٧٠٨ هـ ) ، تحقيق لاني بروفنسال ، ص ٢٨ و ٢٩ .

وعطاء الذي عُرِفَ يابن أخت غالب ، مألقي ، « كان متين الأدب ، شاعراً مجيداً ، خطيباً يليقاً ، يعاشر الملوك ويجالسهم » ، توفي سنة ٦٠٨ ( « الذيل والتكملة ٠٠ » ٥ : ١٤٨ ) . ولم نهتد ، في المصادر التي بين أيدينا ، الى ترجمة لغاله « غالب » ، الذي يلاحظ انه سمي لاييه « غالب الهمداني » .

٢٩- « من نحاة مالقة المشهورين ، كان يُقْرَى فيها العربية » ، وله شعر ( « المغرب ٠٠ » : ١ : ٤٣٣ ) .

٣٠- وليس « جامع مالقة » !

٣١- هكذا ورد اسمه هنا . ذلك أن بعض الروايات تبدل بين اسمي الأب والجد ، فتسميته : عبد الوهاب « بن علي بن محمد » المألقي . انظر : « التكملة ٠٠ » ٢ : ٦٤٣ .

٣٢- هذه الأبيات من قصيدة لابن البين البطلوسي . وقد وردت في « الذخيرة » ٢ : ٨٠٢ ، و « المغرب ٠٠ » ١ : ٣٧٠ .  
وابن البين ، أبو عبد الله محمد ، كما وصفه ابن يسام : « أحد الشعراء المجيدين ، كان يحضره بطليوس ، مستظرف الألفاظ والمعاني » ( « الذخيرة ٠٠ » ٢ : ٧٩٩ ) .

٣٣- « نفح الطيب ٠٠ » ٣ : ٤٠٣ .

٣٤- كنا المعنا الى أن النهر ، الذي يمر بمالقة ، ليس بدائم الجري ، والى أن أهلها يشربون من الآبار .

٣٥- يعني : الأندلس . و « المنصور » هو يعقوب المنصور ( ت ٥٩٥ هـ ) أقوى سلاطين دولة الموحدين .

٣٦- « التكملة » ٢ : ٧٣٧ . والمقصود : السلطان صلاح الدين الأيوبي ( ٥٨٩ هـ ) في الحروب الصليبية .

٣٧- « تاريخ الفكر الأندلسي » ( ص ١٧٩ ) ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، طبعة مصورة ( د . ت ) عن الطبعة العربية الاولى ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٥ . وقد أغفلت الطبعة العربية ادراج الحواشي ذات الأرقام ، مع أنها اثبتت أرقامها في المتن !

وأنغل جنثالث بالنثيا ( ١٨٨٩ - ١٩٤٩ ) كان أستاذاً للعربية وآدابها بجامعة مدريد ، ومن أجل مؤلفاته بالاسبانية : « مستعربة طليطلة » أربعة مجلدات ضخام ، و « تاريخ الأدب العربي الاسباني » ( ١٩٢٨ ) هذا الذي نقل الى العربية باسم « تاريخ الفكر الأندلسي » .

ولست أكتف ما يتردد في خاطري حول الفارق الواضح بين ما أورده ابن الأبار في « التكملة » من صفات لأبي الحجاج ابن الشيخ ، وبين نظيرتها مما استوقف المستعرب بالنثيا : هذا الى أن أيا من الرجلين لم يشر قط الى شيء مما تحدث عنه الآخر ... فكان المعني شخصان !

٣٨- « نفح الطيب » ٣ : ٢٢٧ .

٣٩- « الذيل والتكملة » ٥ : ٧٧ .

قلت : ربما أنشدهما أبو محمد بن الأصم لصديقه أبي الحجاج ، وهما معاً في أحد كروم التين تلك ! على أن البيتين ، يقينا ، ليسا مما جادت به قريحته أيام امامته لجامع مالقة ، وذلك لقوله - يوم اتصل يعلمه أن صديقه قد أشاعهما بين الناس - منزرياً بأولهما بأنه بيت من الشعر « كان عندي منبوذاً بالعراء » ، كما سيأتي . وهو وصف ، ان لم يتضمن معنى التنصل ، دل على انقضاء ما بينه وبين العهد الذي أوحى اليه بهما ! ويقلب على الظن أنه قالهما وهو في باديته ، المنشأة ، في أيام شبيبته .

٤٠- تأتي الرواية في ترجمة أبي محمد بن الأصم ، في السفر الخامس من « الذيل والتكملة » ٥ : ٧٥ - ٩٤ ( تحقيق الدكتور احسان عباس . وقد شغلت ، الرواية وحدها ، اثنتي عشرة صفحة ونصف الصفحة ( ٧٧ - ٨٩ ) .

٤١- يلاحظ أن الاعجاب بهذين البيتين - مع ما أضفي عليهما من فائق الثناء - منصرف الى التزام الشاعر في قافية البيت الأول « خمسة أحرف تباعة » ، هي في الشطر الأول : « تـ جاره » ، وفي الثاني « تجاره » !

٤٢- كان امرأ حميداً من أبي الحجاج أن أغفل تسمية الشعراء المتبارين . وهذا ما غدا ، اليوم ، من التقاليد المتبعة في المسابقات الادبية ، تحقيقاً لعدالة التحكيم وتنزيهاً للمحكمن عن شبهة الانحياز وظنة الهوى !

٤٣- « الذيل والتكملة » ٥ : ٧٧ و ٧٨ .

٤٤- تجدر الإشارة الى أن ابن سعيد الأندلسي لم يجعل أياً من هؤلاء الشعراء الثمانية ، ولا ابن الأصم نفسه ، بين المختارين من شعراء مالقة ، الذين بلغ عددهم ثلاثة وعشرين ، في القسم الذي وسمه « مملكة مالقة : كتاب النفعة الزهرية في حلى مدينة ربة » ( « المغرب » ١ : ٤٢٣ - ٣٧ ) .

٤٥- قلت : هناك شاعر ، سمي له وكني : « أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحناط » ، شهير ، قرطبي ، توفي سنة ٤٣٧ ، وهو من شعراء « الذخيرة » ١ : ٤٣٧ - ٦٧ .

٤٦- « التكملة » ١ : ٢١ .

٤٧- هكذا سماه .

٤٨- « نفح الطيب » ٣ : ٣٩٩ .

وربما كانت زيارته لاشبيلية حوالي سنة ٥٧٦ هـ . و « حمص » هي اشبيلية ، كما كان كتاب الأندلس يطلقون عليها ، لشبهها بحمص من بلاد الشام ، ولأن أول من سكنها من الفاتحين العرب كانوا جنداً جاؤوا منها .

٤٩- يلاحظ مدني ازدهاء الشعراء بقصائدهم ، وتطامنهم - في الوقت ذاته - امام من يتقدمهم على صعيد الشعر .

٥٠- وكان من الحق أن يفوته القول : « ... ومستقبلا » !

٥١- « الذيل والتكملة » ٥ : ٧٨ - ٨٤ .

٥٢- يقول محقق هذا السفر ، الدكتور احسان عباس ( ص ٨٤ ، العاشية ٢ ) : هذا نثر قول أبي خراش الهذلي :

وليس كعهد الدار ، يا أم مالك      ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل  
وعاد الفتى كالكهل ، ليس بقائل      سوى العدل شيئا ، واستراح العواذل

٥٣- يلاحظ ، هنا ، تنصل الفقيه ابن الأصم مما كان نظم من شعر ، أيام شببيته ، يراه - وقد أضحي كهلا - موضوعا لمعارضة ، أو اجازة أو تذييل ، من قبل جماعة من الشعراء !

٥٤- كأننا به نعزز صفيه أبا العجاج ، لاهتمامه بهذا الباب من أبواب الشعر ، دون أن ينظم القصيد من وحي ذاته !

٥٥- يشير الى الجارة ، التي « باحدى هذه الخيمات » !

٥٦- لفعل « زعج » معنيان ، غلب احدهما على الاقلام في عصرنا : زعجه وأزعجه : ألققه ؛ والآخر : قلعه من مكانه ، وطرده ... ( « الصجاح » و « القاموس المحيط » ) . وفي « اساس البلاغة » : أزعجه من بلاده : خلاف إقره . ولعل المقصود هنا بالانزعاج : الارتحال !

٥٧- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٥ و ٨٦ .

٥٨- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٠ و ٨١ .

٥٩- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٦ .

٦٠- يلاحظ أبي أدرج البيت أو البيتين المعارضين ، في كل مرة ، وذلك حرصا على تمكين القارئ من استحواذ معنى المقطوعة كاملا غير منقوص .

٦١- يقول محقق الكتاب : بياض في الاصول .

٦٢- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨١ .

٦٣- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٦ .

٦٤- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨١ ، « ريتما » : ربما .

٦٥- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٦ .

و « جعلته حراما يتلا » ، هكذا في النص المطبوع . ولعل الصواب : حراما « يسلا » تكرارا من ابن الأصم لقول صاحب الأبيات : « وإن وصالنا يسلا حرام » !

قلت : والبسل هو : الحرام . وأما البتل فهو : العطاء المنقطع النظر ، وهو أيضا : العق !

٦٦- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٢ .

٦٧- والقائل هو امرؤ القيس يخاطب صاحبتة « فاطم » :

فان تك قد ساءت منك خليقة      فسئلي ثيابي من ثيابك تنسل

٦٨- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٦ .

٦٩- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٢ .

٧٠- في البيت ، اعلاه : سلي « في » •

٧١- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٧ •

ويستطرد ابن الأصم :

« ولعله - والله يغفر له - ينشد اذا التقى الصفان ، وتداني الصفان ، ونظر الى سرعان الخيل، وعاد النهار كالليل :

لست على القرن بعطاف      ولا لدى الحرب بوقاف

لكنني أهرب مستعجلا      لو ربطت رجلي الى قاف ! »

ويضيف بمزيد من التهكم :

« وينشد والحرب العوان كأنها      من الهول يحرق في تدافعه طما :

« وقالوا: تقدم ! قلت: لست بفاعل      أخاف على فخارتي أن تحطما ! »

ثم حكى « قصيرا » حين ركب العصا ، وقال : « اللهم اغفر لمن عصى ! انتهى •

« الذيل والتكملة » ٥ : ٨٧ و ٨٨ •

والبيت : وقالوا ٠٠٠ هو لابي دلالة ، قاله حين دعاه ابو مسلم لمبارزة أحد الفرسان ؛ و « قصير » هو صاحب جذيمة

المضروب به المثل : لا يطاع لقصير امر » ، والعصا : فرس جذيمة ( من هامش التحقيق ) •

٧٢- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٧ •

٧٣- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٨ • والجزر : الأرض اكيل نباتها •

٧٤- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٣ •

٧٥- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٨ •

٧٦- ليس يبين لنا معنى لأن تنتمي فتاته الى « بني النجار » ، الا انسياقه وراء جناس اصطنعه في آخر البيت !

وفي « بني النجار » العجائزين ، يقول ابن حزم الاندلسي انهم من قبيلة الخزرج • والذي سمي بـ « النجار » منهم ،

هو الحفيد « تيم الله » بن ثعلبة بن الخزرج ، وذلك لانه ضرب رجلا ، اسمه « العير » ، بقلوم فتجره •

( « جمهرة انساب العرب » : ٣٤٦ و ٤٧ ) •

وسوف يكون للمحكم ، هنا ، تعليق على ذلك طريف وراشح بالتهكم !

٧٧- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٣ •

٧٨- اليتمة والجرجار ( وفي المعجمات : الجرجير ) : نوعان من النبات، ورد التعريف بهما في كتب الطب والنبات عند العرب •

انظر : « الجامع لمفردات الادوية والاعذية » لابن البيطار ٤ : ٢١٠ و ١ : ١٦٠ •

والروض الانف : الذي لم يرع !

٧٩- الحيزوم : الصدر أو وسطه ، ج : حيازيم • يقال : « اشدد الامر حيازيمك » ، اي : استعد له •

٨٠- يغاطبه ، وليس يدري انه الشاعر المعني !

٨١- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٨ و ٨٩ •

وتنتين ، أخيرا ، أن حظ أبي العجاج من رأي المحكم ، لم يكن طيبا !

٨٢- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٩ •

٨٢ - « نفع الطيب » ٣ : ٤١٤ ، و « المغرب » ٢ : ٤٥٦ .

والأعمى التطيلي ، لقب لأحمد بن عبد الله بن هريرة ، شاعر مجيد ، نشأ في اشبيلية ، إلا أنه لم يطل زمانه ، ولا امتد أوانه ، وتوفي سنة ٥٢٥ ، وكانت تطيله Tudela (المدينة التي إليها ينتسب، في الثغر الأعلى من بلاد البشكنس)، وقد سقطت في أيدي النصارى سنة ٥١١ هـ ( ١١١٧ م ) . ترجم له ابن بسام في « الذخيرة » ٢ : ٧٢٨ - ٥٣ ، وابن سعيد في « المغرب » ٢ : ٤٥١ - ٥٦ .

وهذا مطلع موشحة له طويلة ، تجدها في « المغرب » ، عليه :

اه مما أجد	شفتي ما أجد
قام بي وقعد	باطش متند
قلما قلت : قد	قال لي: أين قد؟
وانثنى غصن بان	ذا فنن نضر
لاعبته يدان	للصبا والقطر

★ ★ ★

## □ مراجع البحث :

### أولاً - المصادر :

- ١ - الإحاطة في أخبار غرناطة ( أربعة أجزاء ) ، للسان الدين بن الخطيب ( المتوفى سنة ٧٢٦ هـ ) ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، مكتبة الغانجي بالقاهرة ، الجزء الثاني ١٩٧٤ .
  - ٢ - أعمال الأعلام ( أو تاريخ اسبانيا الإسلامية ) ، للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكنون ببيروت ، ١٩٥٦ .
  - ٣ - التكملة لكتاب الصلة ( مجلدان ) ، لابن الأبار ( ت ٦٥٩ هـ ) ، مجريط ١٨٨٦ - ١٨٨٧ .
  - ٤ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ( أربعة أجزاء في مجلدين ) ، لضياء الدين بن البيطار ( ت ٦٤٦ هـ ) ، طبعة مصورة ( عن طبعة بولاق ١٢٩١ هـ ) دار المدينة ( د . د . ت ) .
  - ٥ - جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسي ( ت ٤٥٦ هـ ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .
  - ٦ - الذخيرة في معاسن أهل الجزيرة ( أربعة أقسام في ثمانية مجلدات ) لابن بسام الشنتري ( ت ٥٤٢ هـ ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ببيروت ، ١٩٧٩ ، القسمان الأول والثاني .
  - ٧ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ( ثمانية أسفار ، المطبوع منها خمسة متفرقة ) ، لابن عبد الملك المراكشي ( ت ٧٠٣ هـ ) ، بيروت - الرباط ، ١٩٦٥ - ١٩٨٤ :
- السفر الأول : تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، دار الثقافة ببيروت ( د . ت ) ،
  - السفر الخامس : تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ببيروت ، ١٩٦٥ ،
  - السفر السادس : تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ببيروت ، ١٩٧٣ ،
  - السفر الثامن ( قطعة منه ) : تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، أكاديمية المملكة المغربية بالرباط ، ١٩٨٤ .



- ٨ - الروض المعطار في خبر الاقطار ، للمحمري ( ت ٩٠٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ( ٢ )  
، الطبعة الثانية ١٩٨٠ .
- ٩ - صلة الصلة ( ذيل للصلة البشكوالية في تراجم اعيان الاندلس ) ، لابي جعفر بن الزبير ( ت ٧٠٨ هـ ) ، تحقيق لافي بروفنصال ، الرباط ١٩٣٧ .
- ١٠- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن ابي اصيبعة ( ت ٦٦٨ هـ ) ، تحقيق الدكتور تزار رضا ، دار مكتبة الحياة ببيروت ( د . ت ) .
- ١١- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ( او تاريخ قضاة الاندلس ) ، للنباي ( ت بعد ٧٩٣ هـ ) طبعة مصورة ( عن طبعة القاهرة ١٩٤٨ تحقيق ليفي بروفنسال ) ، دار الافاق الجديدة ببيروت ، ١٩٨٠ .
- ١٢- المغرب في حلى المغرب ( جزءان ) ، لابن سعيد الاندلسي ( ت ٦٨٥ هـ ) ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٨ - ١٩٨٠ .
- ١٣- نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ( او آخر ايام غرناطة ) ، مؤلف اندلسي مجهول ( من رجال القرن التاسع الهجري ) ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، دار حسان بدمشق ، ١٩٨٤ .
- ١٤- نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب ( ثمانية مجلدات آخرها فهارس ) ، للمقرئ ( ت ١٠٤١ هـ ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ببيروت ، ١٩٦٨ ، المجلدان الثالث والرابع .

## ثانياً - المراجع والمعاجم :

- ١٥-الانوار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، لمحمد عبدالله عنان ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦١ .
- ١٦- تاريخ الفكر الاندلسي ( او تاريخ الادب العربي - الاسباني ، للمستشرق الاسباني انغل جنثالث بالنثيا ، تعريب الدكتور حسين مؤنس ، طبعة مصورة ( عن طبعة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٥ ) ، ( د . ت ) .
- ١٧- نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، لمحمد عبد الله عنان ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ .
- ١٨- اساس البلاغة ، للزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، احياء المعاجم العربية بالقاهرة ، ١٩٥٣ .
- ١٩- الاعلام ( ثمانية مجلدات ) ، للزركلي ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٨٠ .
- ٢٠- الصحاح في اللغة والعلوم ( مجلدان ) ، للجوهري ( ت ٣٩٣ هـ ) ، اعداد وتصنيف نديم مرعشلي وولده اسامة ، دار الحضارة العربية ببيروت ، ١٩٧٤ .
- ٢١- القاموس المحيط ، للفيروز ابادي ( ت ٨١٧ هـ ) ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ببيروت ، ١٩٨٦ .
- ٢٢- المعجم الادبي ، للدكتور جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٩ .

